وخز

الإبر

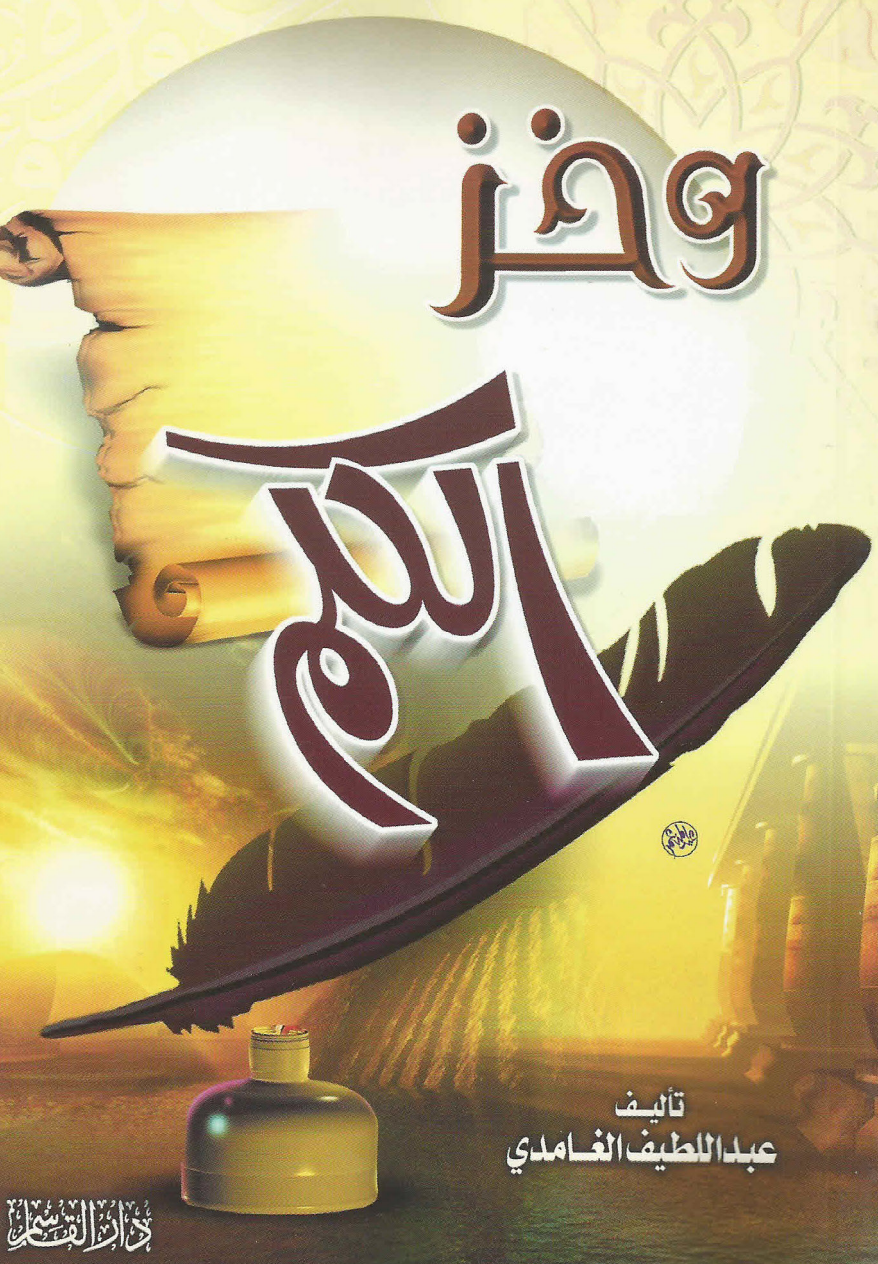

تأليف
عبداللطيف الغامدي

دار القلم

وخزُ الكَلِم

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي ، عبداللطيف هاجس

وخز الكلم / عبداللطيف هاجس الغامدي. - الرياض، ١٤٢٤هـ .

٤٨ ص ، ١٢ × ١٧سم

ردمك : ٧ - ٧٩٨ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١- الأدب الإسلامي أ - العنوان

ديوي ٨١٠,٩ ١٤٢٤/١٩٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١٩٠٤

ردمك : ٧ - ٧٩٨ - ٣٣ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

العنوان : الرياض . طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون

للمراسلات : الرمز البريدي: ١١٤٤٢ . ص . ب : ٦٣٧٣

هاتف : ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس : ٤٠٣٣١٥٠

* البريد الإلكتروني : sales@dar-alqassem.com

* موقعنا على الإنترنيت : www.dar-alqassem.com

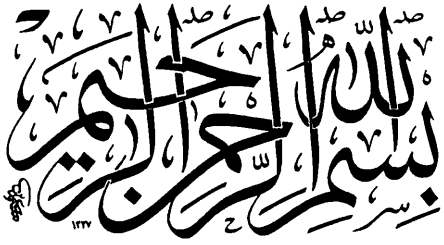
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، فيه المطمعُ، وإليه المفزع، وبين يديه المآبُ والمرجع.

ذلَّت له رقابُ الخلائق أجمع!

يعطي ويمنع، يفرِّق ويجمع، يخفض ويرفع، يصلُ ويقطع، يضرُّ وينفع، يجلبُ ويدفع، يعزُّ ويضع.

فالكلُّ لعظمته يذلُّ ويخضعُ، ويستكينُ ويخنعُ، ويسجدُ ويركعُ.

لا يعزب عنه مثقال ذرَّةٍ في الأرض ولا في السماء، فهو لها يرىٰ ويسمع!

والصَّلاة والسَّلام علىٰ خليل الحقِّ وسيِّد الخلق، شفيع الخلائق يوم هولِ المطلع، وعلىٰ آله وصحبه، ومن بهديه اقتدي، وبمنهاجه اهتدي، ولسنَّته جمعَ ووعىٰ، ونشرَ ودعىٰ، وبذلَ وسعىٰ، وذاد ورعىٰ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الإنسان وصوَّره، وشقَّ سمعه وبصره، ثمَّ السبيل يسَّره، ثمَّ أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله،

نبيٌّ شـرح الله له صـدره، ويسَّـر له أمـره، ووضـع عنه وزره، ورفع في الدارين ذكـره، وجـعل الـذلَّة والصـغـار علىٰ من خالف أمره، أمَّا بعد:

فمقدِّمة فيما علىٰ قارئه أن يعلمه:

أو يحـسب أهلُ البـاطل المنمنم أنَّهم انفـردوا بجـمـيل العبارة، ولطيف الإشارة دونَ أهلِ الحقِّ والصدقِ؟!

لا والذي علَّم الإنسان البيان!

فأهل الحقِّ أحقُّ بالجمال والكمال، فلهم القدح المُعلَّىٰ فيه وقصبُ السبق إليه..

كـابرًا عن كـابر.. حـتىٰ يتَّـصلَ الماضي الغـابر بـالحاضـرِ السَّائر..

لأنَّ الأصل مـشكـاةُ النبـوَّةِ، والمنبع ممَّن أوتي جـوامـع الكلم ﷺ.

وبين يديك ـ أيُّها المُطَّلعُ أو المستمعُ ـ حـمـحـمـة محـرقـة ومشرقة، موجعة ومفجعة، لفحات ونفحات، معانق ومعاناة، ألمٌ وأملٌ، لسع وعسل، داءٌ ودواءٌ، محنة ومنحة، كلمات ولكمات، عبرٌ وعبرات، خواطر ومخاطر، سُطِّرت فوق الورق، وكُتبت علىٰ ما اتَّفق، فخذها من قلبٍ تلوَّع بها

واحترق، وتصدَّع منها وانفلق.

وكأنَّما قلبي أمامي أناديه في قلق:

يا قلبُ لِمَ عرَّضتَ نفسكَ للهوىٰ أو ما رأيتَ مصارع العشَّاقِ؟(١)

وكأني به يشكوني إلىٰ غيري:

فقلت له إنَّ الشَّجا يبعثُ الشجا فدعني فهذا كلُّه قَبرُ مالكِ(٢)

عسىٰ أنْ تكون فيها عبرة، مع تجديد الطرح وتحديث الفكرة..

والمهم أنْ تفهم أني لا أقصد بها أحداً أبدًا، ولا أعني بها مجتمعًا بذاته أو جماعةً بعينها أو أناسًا بأشخاصهم، فكلامي لا يحدُّه زمانٌ ولا يحصره مكانٌ، ولا يُقصدُ به إنسانٌ، وعلىٰ الله التُّكلان وهو المستعان، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

يا الله! يا حي يومَ لا حي!

بك أستجيرُ ومن يجير سواكا فأجر ضعيفًا يحتمي بحماكا

أذنبتُ يا ربي وآذتني ذنوبٌ ما لها من غافرٍ إلا كا

---

(١) علي بن الجهم.

(٢) متمم بن نويرة اليربوعي.

يا غـافـر الذنبِ العظيمِ وقـابلاً ... للتـوب: قلبٌ تائبٌ ناجـاكـا
يا ربِّ جئتك نادمًا أبكىٰ علىٰ ... مـا قـدَّمـتـه يداي لا أتبـاكىٰ
ياربِّ عـدتُ إلىٰ رحـابك تائبًـا ... مستسلمًا مستمسكًا بعراكا
مالي وما للأغنياء؟ وأنت ياربِّ ... الغنيُّ ولا يُحـــدُّ غناكـــا
مالي وما للأقوياء؟ وأنت يا ربِّ ... وربُّ الناس مـــا أقـــواكـــا!
إنِّي أويتُ لكل مـأوىٰ في الحياة ... فـمـا رأيت أعـز من مـأواكـا
وتلمَّستْ نفسي السبيل إلىٰ النجاة ... فلم تجـد منجًىٰ سوىٰ منجاكـا
وبحثتُ عن سرِّ السعادة جاهدًا ... فوجـدت هذا السرَّ في تقـواكا
فليرض عني الناسُ أو فليسخطوا ... أنا لم أعـد أسـعىٰ لغير رضـاكـا
فاقبل دعائي واستجب لضراعتي ... ما خاب يومًا من دعا ورجاكا[1]

* * *

يا أكـــرم الكرمـــاء . . يا أرحم الرحـــمـــاء . . يا أعظم العظماء . .

عبدك الفقير إليك . . الذليل بين يديك . .

يناديك . . يناجيك . .

رضاك . . رضاك . .

لا أرجو سواك . .

---

(١) أحمد علي شاهين أبو فردة .

سهر العيون لغيرِ وجهكَ باطِلٌ ... وبكاؤهُنَّ لغيـر فـقـدِكَ ضـائعُ

رضا الناس غايةٌ لا تدرك . .

ورضاهُ عنك في رضاكَ عنه . .

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة : ٥].

يا سـائرين إلىٰ الحـبيب ترفَّقُـوا ... فـالقلبُ بينَ رحـالكُم خلَّفـتُـهُ

مـالي سـوىٰ قلبي وفـيكَ أذبتُـهُ ... مالي سِوىٰ دمعي وفيكَ سكبتُهُ

يا مُحبًّا يكتُم حُبَّه!

وقد أذاب حُبُّه قلبه . .

هيهاتَ . . هيهاتَ . .

نمَّ عليك الخضوع . .

أخبر بحالك الخشوعُ . .

فضحتك الدموعُ . .

وقـالوا: بكيتَ! فـقلتُ: كـلاَّ ... وهل يبكي من الطرب الجليـدُ؟

ولكن قـد أصـيبَ سـوادُ عـيني ... بعُـودٍ قـذىٰ له طرفٌ حـديدُ

فـقـالوا: مـا لدمـعـهـمـا سـواء ... أكلتا مُقلتيكَ أصابَ عودُ؟[1]

أين منك من يدَّعي المحبَّة؟! وهو يعصي ربَّه!

يعطيه العطايا . . ويدفع عنه الرزايا . .

---

(١) بشار بن برد .

وهو يخالفه . . ويعصيه . . والله يمهله ويعطيه . .
بذلٌ يقابله بخلٌ . .
عطايا تبدَّل بخطايا . .
كرمٌ يواجه بجرمٍ . .
يعمل بعمل أهل النار وهو يظنُّ أنَّه من الأبرار . .
هيهاتَ . . هيهاتَ . .
يا أسير السيئات . .
خطت الخطىٰ في الخطأ!
تقلَّب القلبُ في مساخط الرَّب!
أذنت الأذنُ لسماع الأذىٰ!
بينه وبين ربِّه قطيعة . . فيا للفجيعة! يا للفجيعة!
إذا دامت القطيعة . . وانتهكت ستورُ الحدود المنيعة!

متىٰ يكن مولاك خَصمَكَ لا تزل تذلُّ ويعلُوكَ الذين تُصارعُ
وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناحِهِ؟ وإنْ قُصَّ منه ريشُه فهو واقعُ[1]

* * *

ما الهمُّ الذي تحمله؟! فكلٌّ له هم!
فمن النَّاس من همُّه نفسُه وثوبه ولبسه، ومنهم كتابه

(١) أبو الطيب المتنبي.

ودرسُه، ومنهم درهمه وفلسه، ومنهم بلاطه وجبسُه، ومنهم مزاجُه وأنسه، خمره وكأسه، ومنهم طائره ونحسه، ومنهم زوجه وعرسه، ومنهم أكلُه وهرسه، ومنهم تمره ودبسه، ومنهم خيله وفرسه.

ومن الناس دُرٌّ نفيس! وهو المؤمن الصادق، همُّه كيف يرضي الإله الخالق.

فلا تبع الآجلة بالعاجلة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا(١٩) كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا(٢٠)﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢٠].

فخُذ من الرِّزق ما كَفَىٰ ومِنَ العيشِ ما صَفَا
كُلُّ هذا سينقضِي كَسِراجٍ إذا انطَفَا

* * *

أمُّ جميل!
آه من أمِّ جميل!
عمرُها طويل..
أمَّا تقرأ لها في فكرها الدخيل؟!

في شرِّها الوبيل . . بلفظها العميل . . في المنهج البديل . .
في مكرها وكيدها بالمبدأ الأصيل !

يا لكِ من قنبـرة بـمَـعـمَـرٍ خلا لكِ الجوّ فبيضي واصفري
ونقـرِّي مـا شـئت أن تنقـري قد رحلَ الصيَّاد عنك فابشري
ورُفِعَ الفخُّ فـمـاذا تحـذري لابُدَّ من صيدُكِ يومًا فاصبري[1]

* * *

ابن سبأ !
وما أدراك ما ذاك النبأ؟ !
ذئبٌ توشَّح بالصلاح . .
وربما نادىٰ : حيَّ علىٰ الصلاة . . حيَّ علىٰ الفلاح !
داءٌ تمكَّن في الجسد . . فأفسد في البلد .
ارتضعوا منهجه .
كالذباب . . لا تقع إلا علىٰ الخراب . .
قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦)** ﴾ [البقرة: ١٦٦].

* * *

(١) طرفة بن العبد .

أبو لهب!

وكم لدينا من أبي لهب؟!

يوقدُ النَّار في الحطب..

يضمِّخُ المعافىٰ بالجرب..

ويقدحُ السَّليم بالعطب..

ويسمُ المنحرفَ المنجرفَ بالأدب..

أدبٌ بلا أدب!

والعجب!

أن تلاقي في العرب.. جمعًا غفيرًا من أبي لهب!

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١، ٢].

* * *

عبد الله بن أبي بن سلول!

سيفه مسلول.. وشرُّه مبذول.. لسانه يقطر شهدًا في الإياب، ثمَّ يقطر شرًّا في الغياب.

ذئبٌ تراه مُصلِّيًا فإذا مررتَ به ركع
يدعُو وجُلُّ دُعائِه ما للفريسة لا تقع[1]

(١) محمد الوراق.

يمدُّ يده بالسلام، ويدعو للسلام . . ثمَّ يعض الأنامل من الغيظ ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

يا ويله من يوم نشره وحشره، وحسبه ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ...﴾ [التوبة: ٨٤].

* * *

أبو لؤلؤ المجوسي!

دنسٌ . . دني . .

جاس بالرجسِ في المدينة . .

فوقعت يده الأثيمة في أبشع جريمة . .

وجأ بالخنجر عمر . .

فَفُتِحَ بابُ الفتنة . . لا . . بل انكسر!

فتتابعت الفتن وتكالبت المحن وتعاقبت الإحن ولا عجب!

فالفتنة من حيث جاء لا من حيث ذهب.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا...﴾ [الأعراف: ٥٨].

* * *

يا من رقَّ دينه . . وقلَّ يقينه . .

الرزق مكتوب . . والأجل مضروب . .

فلم تقبِّل الأيدي، وتلعق الكعوب؟!

أما كفاك مولاك؟! ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

من احتمىٰ بحماه.. حماه.

ومن اكتفىٰ به.. كفاه.

ومن تعلَّق به.. وقاه.

ومن لاذ بحوله وطوله.. تولاه.

لا تخف من الدون..

املأ قلبك بخشية خالق الكون..

ولا تكن كالأرنب.

لا يطيق الطيور الجارحة!

كُـلُّـهُـم أروغُ مـن ثـعـلـبٍ ما أشـبـهَ الليلةَ بالبـارحـةِ[1]

* * *

طيور العمل..

أصبحت في وجل..

وطافت بالحقول.. يحدوها الأمل.

وأنت ـ يا مسكين ـ طيرك في خمولٍ وكسل.

يردد في فتورٍ وخجلٍ: ولِمَ العمل؟!

---

(١) طرفة بن العبد.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السفينة لا تجري على اليبس

الجنَّةُ . . يا ضعيفَ الهمَّة . .

لا تنال بالأماني . . والفتورِ والتواني . . والعكوف على الغواني . . والتطرُّبِ بالأغاني . .

الجنة . . لا تنال بالفساد . . والتمرُّد والعناد . .

الجنة . . لا تنال بالهزل . . والخطايا والزلل . . والخداعِ والدجل . . والأماني والأمل . .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

من يُرد مُلكَ الجِنانِ فليَدَع عنه التَّواني
إنَّما العيشُ جوارُ اللهِ في دار الأمانِ

* * *

صلاح الدينِ . .

صلاح الدين الأيوبي . . بطلٌ أبي . .

اسمٌ وافق معناه مبناه . .

أبى أن يضحك والقدس مدنَّس . .

فقال مقالة الأبطال: والله لا يضحك سني، ولا يفترُّ ثغري ومسرى حبيبي مكبَّلٌ بالأغلال بأيدي الخنازير الأنذال!

فلمَّا غابت أسنانُه . . ظهر سنانُه . . وأحاط به فرسانه .

فكان بيانه : حيَّ على الجهاد . .

فكُسِرَ القيد ، وطاب الصيد ، وعاد بيت المقدس ؛ لأنَّ صلاح الدين رجلٌ مؤسس . .

جمع الشجاعةَ والخشوعَ لربِّه ما أحسن المحرابَ في المحرابِ!

ونحن . . من نحن؟ ! يا ذلَّةَ الوهن في القلب والبدن!

وعدُنا . . مطل!

جِدُّنا . . هزل!

عن العدلِ عَدلنا ، وبالظلم ضللنا . .

هوينا في الهوى فهنَّا .

واغتممنا بالغرام فغرمنا .

نضحك فوق جراحنا .

نسبح في دمائنا .

حِرابُنا في نحر محرابِنا .

وسِهامُنا سُلَّت على إسلامنا .

نلوك سيرةَ أفذاذِنا ، نقلِّب أخبارَ أمجادنا .

نضحك . . ونضحك . . حتى ننقلبَ على القفا .

فتتوجَّع منا البطون ، وتدمع من سرورنا العيون .

اتخذنا الضحكَ حرفة، والهزلَ مهنة، والدعابةَ مهمَّة.

وربما تندَّر بعضنا بشرائع الدين، وبالصالحين من عباد الله المؤمنين.

فدلَّ الهزلُ على الهزيمة، وزادت جراحُنا القديمة.

فكيف يعود القدس إلى العرين؟!

وقد قلَّ فينا الصلاح، وغابت منائر ومنابر: حيَّ على الكفاح!

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلَهُم إنَّ التشبُّهَ بالكرام فلاحُ(١)

* * *

المصيبةُ في عدم الرِّضا عن المصيبة!

والحقيقةُ الدقيقة؛ أنَّ الجزعَ لا يردُّ ما وقع.

فلا تقنط.. ولا تغلط..

«**فمن رضي فله الرِّضا ومن سَخِطَ فله السَّخط**» [رواه الترمذي].

﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)**﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وعاقِبةُ الصَّبرِ الجميلِ جميلةٌ وأفضل أخلاقِ الرِّجال التَّفضُّلُ(٢)

---

(١) السهر وردي.

(٢) علي بن الجهم.

يقولون: قلوبُنا نظيفة، وصدورنا سليمة.
وجوارحُهم جرحت حناجرَهم.
وعبراتُهم كذَّبت عباراتهم.
وحالُهم فضحت انتحالَهم.
فأيديهم تبطش - في قسوة - فوقَ الرؤوس الكريمة.
وأرجلُهم - يا ويلَها - تسحق النفوسَ العظيمة.
وجيوبُهم مليئةٌ بالأموال والأرصدةِ الأثيمة.
وقلوبُهم مريضةٌ بالأحقاد القديمة..
أما علموا أنَّ جوارحَهم نمَّت عليهم؟! وفيا بئست النميمة!

أبنيَّ إن من الرِّجـالِ بهـيـمـةً ... في صورة الرجل السميع المبصرِ
فطِن بكل مـصـيـبـة في مـاله ... وإذا أُصـيبَ بدينه لم يشـعـرِ

***

سهِر أعداؤنا يكيدون لنا.. وسهرنا - في غفلةٍ - نُغني.
باتوا يمكرون بنا.. وبتنا - من جهلنا - نغني.
قضوا ليلهم يحيكون الدوائر حولنا.. ونحن - ما زلنا بلا فخر! - نغني..
وأصبحوا يقتلوننا.. يشردوننا.. يقسِّموننا.. يعذِّبوننا..
ومتنا.. متنا ونحنُ نغني!

برئنا إلى الله من معشرٍ بهم مرض من سماع الغنى
وكم قلت: يا قوم أنتم على شفا جرفٍ ما به من بنا
شفا جرفٍ تحته هوَّة إلى دركٍ، كم به من عنا
وتكرارُ ذا النصح منَّا لهم لنعذر فيهم إلى ربنا
فلمَّا استهانوا بتنبيهنا رجعنا إلى الله في أمرنا
فعشنا على سنَّة المصطفى وماتوا على تنتنا تنتنا

* * *

مساكين أهل الدنيا . . طُعنوا بسكِّين الغفلة .
بكوا على الدنيا . . عندما كانوا فيها .
وبكوا منها . . عندما أُخرجوا منها .
أحبُّوها فكرهتم . . ولو كرهوها لأحبَّتهم . .
هربت منهم فطاردوها . . ولو فروا منها لطاردتهم . .
دنيا دنيئة ، ويكفيها أنَّ الله يُعصى فيها!
﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾ [النحل: ٣٠].

حسبُكَ ممَّا تبتغيهِ القُوتُ ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ[1]

* * *

(١) أبو العتاهية .

أيُّها المفلس!

أين أنت والسوق؟!

أمَا بلغك قول الحادي وهو ينادي: «**كلُّ الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها!**»؟[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

إنَّها التجارة مع الغني الذي له ميراث السموات والأرض..

تجارة لن تكسد، لن تخسر، لن تبور.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم...﴾ [التوبة: ١١١].

والثمن! إيه أيُّها الفطن!

﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فيا لها من منَّة!

والمصيبة المهيبة الرهيبة: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ...﴾ [النساء: ٧٢].

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه.

يشتكي قلّةَ الوقت . . وهو يقتله!

يسأل في بلادةٍ وخنوعٍ: وما الموضوع؟!

يتكئ على أريكته . . وينظر في مسلسلة مسلسلةبالضعفاء والعلل . .

مؤلفها مخلَّط، ومخرجها متروك، ومؤديها حديثه موضوع.

فهل فهمت القضيَّة؟! يا وقود البليَّة!

إليك عنِّي . . إليك عنِّي . .

لا أنا منك . . ولا أنت منِّي . .

قد ضاع منك أملي، وخاب فيك ظني.

* * *

لا تعجب من كلام أهل الباطل، ولكن اعجب من سكوت أهل الحقِّ.

ولا تفجع من حديث أصحاب الكذب، ولكن - بحق وصدقٍ - فاجعة الفواجع انخراس أهل الصدق!

سلامٌ على الدنيا إذا استنوق الجمل، واستفحل الفسل، واستأسد الهرُّ، واستعذب صوته الغراب . .

يا نفسُ مُوتي فقد جدَّ الأسىٰ موتي ما كنتِ أوَّل صبٍ غير مبخوت[١]

* * *

همَّةُ العاجز تحت قدمه، وهمَّةُ الفائز فوق رأسه..

علوٌّ وسموٌّ.. لا ذلَّةٌ أو دنوٌّ!

.....وإنَّما هوىٰ كُلُّ نفسٍ حيثُ حَلَّ حبيبُها[٢]

فحيَّ علىٰ جنَّات عدنٍ فإنَّها منازلنا الأولىٰ وفيها المخيَّم

ولكننا سبيُ العدو فهل ترىٰ نعودُ إلىٰ أوطاننا ونُسلَّمُ؟[٣]

* * *

وتسألني: ما بال الأمَّة المسلمة في ذيل القافلة ذليلة؟

أقول: لا تسأل عن حال الأمَّة وما أصابها مِنْ غُمَّةٍ.

تقول: ما بها، وأنتَ مِنْ أسبابها!

أنا بدوري أسألك: هل بذلت؟ وهل دعوت؟ هل أنفقت؟ وهل أعطيت؟ هل كفلت؟ وهل بنيت؟ هل نصحت؟ وهل أوليت؟

هل.. و.. هل؟

---

(١) أبو بكر الخالدي.

(٢) إبراهيم الصولي.

(٣) ابن القيم الجوزية.

ستبهتُ ـ حتمًا ـ وتقول: ها.. ها..

أقول: ألا تخشىٰ خاتمة لا دريت، ولا تليت؟!

أفنيتَ يا مسكينُ عمرك بالتأوُّه والحزن
وقعدت مكتوف اليدين تقول حاربني الزمن
ما لم تقم بالعبءِ أنت فمن يقومُ به إذن؟[1]

***

قبيحٌ أن يحتقر الأكابر الأصاغرَ، وأقبحُ منه أن ترىٰ الأصاغر يحتقرون الأكابر.

فوا عجبًا! كم يدعي الفضلَ ناقصٌ
ووا أسفا! كم يدَّعي النَّقصَ فاضِلٌ[2]

فظيعٌ أنْ يتكبَّر الغني، وأفظعُ منه أن يتكبَّر الفقير، ويتعالىٰ وهو هينٌ حقير..

حشفًا وسوءَ كيل! دمامةٌ في الفكر، وقباحة في الخلق!

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فليسِدِ النُّطقُ إن لم يُسعِدِ الحالُ

---

(١) إبراهيم طوقان.

(٢) أبو العلاء المعري.

لو لا المشـقَّـةُ سـاد النَّاسُ كُلُّهُمُ الجـودُ يُفـقِـرُ والإقـدامُ قـتَّـالُ
ذِكرُ الفتى عُـمرُهُ الثَّاني وحاجَـتُهُ ما فاتَهُ، وفضول العيشِ أشغالُ[1]

شنيعٌ أنْ ينتكس الرجل بعد هداية في صغر، وأشنعُ منه أن يرتكس في الغواية وينتكسَ عن الهداية على كبر.

عصيتُ هوىٰ نفسي صغيرًا فلمَّا رماني زماني بالمشيبِ وبالكبر
أطعتُ الهوىٰ عكسَ القضية ليتني ولدت كبيرًا ثمَّ عدتُ إلى الصغر

***

أنفق ينفق عليك، أنفق ولا تخش من ذي العـــرش إقلالاً.

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْـخَلْ فَـإِنَّمَـا يَبْـخَلُ عَن نَّفْـسِـهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُـقَـرَاءُ...﴾ [محمد: ٣٨].

تقول: لا أملك المال لأتصدَّق..
أسألك: بكم اشتريت آخرَ لعبةٍ لطفلك؟
كم أنفقتَ في آخر أكلةٍ أكلتها؟
كم دفعتَ في آخر ملبوسٍ لزوجك؟
كم بذلتَ من مالٍ لتغيير أثاث بيتك؟

(١) أبو الطيب المتنبي.

كم أعطيتَ من يغسل مركوبكَ؟

كم . . وكم . . كم . . وكم . . ؟!

كم تنفق للدنيا؟ وكم تنفق للدين؟

أسئلة محرقة! وإجابةٌ مقلقة!

﴿ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ . . . ﴾ [النساء: ١٢٩].

معاشر الزهاد في أُخراهم . .

إنّي رأيت من المكارم حَسبُكم أن تلبسُوا خزَّ الثياب وتَشبَعُوا

فإذا تُذُكِّرَتِ المكارمُ مرَّةً في مجلس أنتم به فتَقَنَّعوا(١)

* * *

العاقبة للمتقين، والعقوبةُ على المعرضين . .

فلا تغررك من الباطل جحافلُه، فهي إذا جدَّ الجدُّ جافلة .

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٥٠، ٥١].

* * *

الجوعُ في القلب لا في البطن .

والعمى في البصيرة لا في البصر .

والجمالُ في القلب لا في القالب .

---

(١) عبد الرحمن بن حسان .

والعبرةُ بالأفعال لا بالأشكال.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ...﴾ [الحج: ٣٧].

«**إنَّ الله لا ينظر إلىٰ صـوركم وأمـوالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**» [رواه مسلم، و أحمد].

إذا المرءُ لم يلبس ثيابًا من التُّقىٰ تقلَّبَ عُريانًا وإن كـان كاسيًـا

***

تراه يخطط، وتسمعه ينظِّر..

يتكلَّم في المهمات، وهو من الملمات.

يتشدَّق بالمثاليات، وهو من المثلات.

يخوض في القيم، وهو من النقم.

ما أجملَ قولَه! وأقبحَ فعلَه!

يهذي بما لا يدري..

وقد تعادىٰ مع صلاة العصر والفجر!

وكلٌّ يدَّعي وصـــلاً بليلي وليلي لا تُقـــرُّ لهم بذاكـــا

إذا اشـتبكت دمـوعٌ في خـدودٍ تبـيَّنَ مَنْ بكىٰ ممَّن تبـاكىٰ

فـأمَّـا مَنْ بكىٰ فـيـذوبُ وجـدًا وينطقُ بالهـوىٰ مَنْ قـد تبـاكىٰ

***

آه . . آه . .

ممَّن يناديه مولاه، وهو ملتفتٌ بقلبه إلىٰ سواه .

هوىٰ به هواه . .

فأضلَّه . . وأزلَّه . . وغواه . .

ستندم أيُّها اللاهي، ستعلم أيُّها الساهي . .

إذا اقبلت الدواهي . . بأنَّ حبل الصدِّ واهي!

غـــرَّ جَـــهُـــولاً أمَلُهُ يَمَـــوتُ من جـــا أجلُه
ومَنْ دنا مِنْ حـــتـــفِـــه لم تُغنِ عنه حـــيـلُه
والمرءُ لا يصـــحـــبُـــهُ في القـــبـــر إلاَّ عـــملُه[1]

* * *

جبالُ الذنوب تذوبُ بالتوبة . .

فهل حانت الأوبة من الحوبة؟!

أما للصدِّ من حدٍّ؟!

وجزرك أيُّها العبد! إما له من سد؟!

أفنيتَ عـمـركَ، والذنوبُ تزيدُ والكاتبُ المُحصي عليك شهيدُ
كم قلتَ: لستُ بعائدٍ في سوءةٍ وأنبت منهـا، ثمَّ صِـرتَ تعـودُ

---

(١) علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ .

حتى متى لا ترعوي عن لذَّةٍ وحسابُها يوم الحساب شديدُ[١]

* * *

تأمَّل الصورة!

البرق يخطف، الريح تعصف، الرعد يقصف. والموج يعلو من كلِّ مكان..

وظنُّوا أنَّهم أُحِيْطَ بهم من جوانبهم، ومن تحت أرجلهم..

فبينهم وبين الموت، وانقطاع الصوت موجةٌ تعلو، أو فجوةٌ تدنو، أو صخرةٌ تبدو..

وبقي بابُ ربِّ الأرباب..

فصاح صائح الإيمان.. يهتف في الرحيم الرحمن..

اللهم، أريتنا قدرتك، وعرَّفتنا قوَّتك..

فأرنا حلمك، وارزقنا رحمتك..

فكأنَّ شيئًا لم يكن، وصار الخائفُ مطمئناً..

وغدا البحر كالمرآة.. وصدق الله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٤].

---

(١) أبو نواس.

الصالحُ بدون إصلاح قنديل بدون فتيل . . شمعةٌ بدون ضياء . .

ماءٌ لا يروي، ونارٌ لا تدفئ، ومزنٌ لا ينزل ماؤها، وزهرةٌ لا يفوح عبيرها .

فمن هجر اللذات نال المنى ومن أكبَّ على اللذات عضَّ على اليدِ

* * *

الدعوةُ إلى الله ـ تعالى ـ لا تقوم على الفضول، ولا يقوى عليها المتهالكُ الكسول، ولا تناسب طيشَ المتهورِ العجول .

الدعوةُ إلى الله علمٌ وحلمٌ، وحكمةٌ وفهمٌ، تتطلَّب من الوقت أغلاه، ومن المال أزكاها، ومن الجهد أمضاه، ومن التفكير أنقاه، ومن الهمِّ أقواه، ومن المظهر أرقاه، ومن الباطن أتقاه . .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومن مثلُكَ أيُّها الداعية!

فـرَّغتَ نفسَكَ للأحرارِ تغرسُهم

وهمُّ غيرِك غرسُ النَّخلِ والشَّجرِ[1]

---

(١) أبو الحسن التهامي .

يا جميل المظهر، لا تسوِّد بالذنب وجهك.
يا حسن الذِّكر، لا تُسقط بالعيب جاهك.
يا بديع الفكر، أين اتجاهُك؟!
لمن ولاؤك؟!
بيد من لواؤك؟!
متى تكون (نعمك)؟! ومتى تكون (آلاؤك)؟!

* * *

لا رُتبَ دون سبب.
ولا قِمم دون هِمم.
ولا أمجاد بدون اجتهاد.
فيا رفيق الربابة والوتر.. عش ما بدا لك بين الحفر!
فللقمر عُشَّاق ليلٍ يستلذُّون له السَّهر.

كُنْ كـالنسـورِ علىٰ الذُّرا تُصغي لوشوشةِ القمر
إيَّاكَ أنْ تكنِ الغـرابَ يُرمِّمُ الجيفَ الحقيرةَ في الحُفَر

* * *

ما أجمل الدنيا بلا دَيْنٍ!
وما أقبح الدنيا بلا دينٍ!
يقول الحسن: «إخواننا في الله أحبُّ إلينا من إخواننا في

النَّسب».

والسبب: أنَّ إخواننا في النَّسب يذكروننا بالدنيا، وإخواننا في الله يذكروننا بالدين. فما أحسن قول الحسن!

وما الحال فيمن إخوانه في الدين يحابونه في الدين باسم الدين! إنْ علت به الرُّتب؟!

وإخوانه في النَّسب يغمسونه في الطين، بسببٍ وبدون سبب!

وكنَّا نستَطِبُّ إذا مرضنا فصارَ هلاكنا بيد الطبيبِ

***

يا هذا!

أنت هنا تجاور من يجور عليك.

فافزع بقبلك إلىٰ من هو أرحم بك منك! وأقربُ منكَ إليكَ!

نقِّل فؤادك حيثُ شئتَ من الهوىٰ ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّلِ
كم منزلٍ في الأرضِ يألفهُ الفتىٰ وحنينُهُ أبدًا لأوَّلِ منزلِ

***

أيُّها العليل!

أزف الرحيل، فلم يبق إلا القليل.

فَدَاؤكَ هنا . . ودواؤك هناك!

أنتَ في دار شتات فتأهَّب لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك
ولْيكن فطرك عند الله في يوم وفاتك

* * *

أيُّها الفطن!

ما دُمت إليه تحنُّ، ومن خوفه تئنُّ . .

فاطمئن . . وأحسن به الظنَّ . .

فربُّك ذو جودٍ ومنن!

أبداً نفوس الطالبين إلى رياضكم تحنُّ
وكذا القلوب بذكركم بعد المخافة تطمئنُّ
حنَّت بذكركم، ومن يهوىٰ الحبيب ولا يحنُّ؟!

* * *

يا من لم تسؤه سيئته! ولم تخفه خطيئته!

اسمع!

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

أهل الصلاح مشفقون من حسناتِهم ألا تُقبل، وأعمالهم ألا تُرفع، وخيراتهم ألا تصل.. وأنت - يا مغرور - لا تبكي من ذنوبك، ولا تستحي من سيئاتك..

فهم قد جمعوا بين عملٍ ووجل، وأنت جمعت بين فتور وكسل، وأمنٍ وأمل.. أحسن الله عزاءك في قلبك القاسي وعقلك الناسي!

ومن البليَّـــة عـــذل من لا يرعـــوي
عن جـــهله وخطابُ من لا يفـــهمُ[1]
وذو الدناءةِ لو مَـــــزَّقت جِلدتَهُ
بشفرةِ الضَّيمِ لم يَحسِس لها ألمَا[2]

* * *

جفَّ القلبُ.. فجفَّت العينُ!
فليكن لك منك على قلبك عينٌ..
فلو لان القلب، لفاضت من العين عين!

* * *

---

(١) أبو الطيب المتنبي.
(٢) علي بن المقرب العيوني.

طيب السريرة مهادُ طيب السيرة . .

وخبثُ الباطن شؤمٌ في كلِّ الموطن!

ثوبُ الرياء يَشِفُّ عمَّا تحتَه فإذا التحفتَ به فإنَّك عارِ

* * *

دموع المحبين لربِّ العالمين لا تنقطع!

ومن دموع الخائفين الصادقين قلوبهم تتقطَّع.

كتمتُ الهوىٰ حتَّىٰ بدا كتمانُهُ

وفاضَ فنَمَّتهُ عليَّ المدامعُ

ولو لم يفض دمعي لعادَ إلىٰ الحشا

فقطَّعَ ما تُحنَىٰ عليهِ الأضالعُ

* * *

كم أراك تعاني من زيادة وزنك!

ألا تخفف بالتوبة من ذنوبك؟!

ليزيد في الميزان عند الرحمن وزنك!

جسمكَ قد أفنيته بالحِمَىٰ دهوراً من البارد والحارِ

وكان أولىٰ بك أنْ تحتمي من المعاصي حَذَرَ النَّارِ

* * *

أصحابُ القلوب الميتة يضجُّون بالمصلين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)﴾ [الشعراء: ١٣٦].

وأصحابُ القلوب الحيَّة يهتفون فرحين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

فهل من اتَّعظ كمن أعرض؟!

وهل من أصاب كمن فقد الصواب؟!

وميزان القرآن يهتف في الغافلين: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾ [الجاثية: ٢١].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾ [الملك: ٢٢].

والنتيجة العجيبة قول العلي القدير: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ [فصلت: ٤٠].

* * *

الولاء لؤلؤةٌ ثمينة، لا تُهدىٰ لمن لم يهتد.

والحبُّ عـصـارةُ القلب، لا يُسكبُ في إناء من عـاند الرَّب.

والودادُ مهجة الفؤاد، يَحرُم علىٰ كلِّ من ساد بالفساد.

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المجادلة: ٢٢].

* * *

الدعاةُ الربانيون ينادون في العالَمين: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)﴾ [الشعراء: ١٠٩].

وأصحابُ الدعاوىٰ تراهم مولعين بما عند العالَمين وهم غير عالمين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

خليلي قطَّاعُ الفيافي إلىٰ الحِمَىٰ ... كـثـيـرٌ وأمَّـا الواصلُون قليلُ

وُجُوهٌ عليها للقَبُول علامةٌ ... وليس علىٰ كُلِّ الوُجُوهِ قَبُولُ

* * *

ربَّ أمنيةٍ جلبت منيَّة!
وربَّ طلبٍ أورد العطب!
وربَّ أملٍ أورث الألم!
وربَّ هديَّةٍ قربت داهية!
وربَّ فرحةٍ جلبت ترحة!
وربَّ عبرةٍ أنطقت عَبرة! ومسرَّةٍ أقبلت بحسرة!
وربَّ ساعٍ في حتفِ نفسه!
وربَّ فارٍ من الموتِ وفي الموت وقع!
فلا تُفرِّطوا أو تقنطوا.. ما كُتبَ لكم سيأتيكم.
﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمع: ٨].

ربَّ أمـــرٍ تتـــقـــيـــه جـــرَّ أمـــرًا ترتضـــيـــه
خـــفي المحـــبـــوبُ منه وبدا المكروه فـــيـــه(١)

***

كان عبدُ الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يشتري العبيد والإماء، ثمَّ يأمر بهم فيكسون ويدهنون ويزينون، ثم يُعرضون عليه، فيقول لهم: أنتم أحرار لوجه الله ـ تعالى ـ أستعين بكم على غمرات الموت.

(١) أبو سعيد الضرير.

فمـات وهو قائمٌ في مسجده يصلِّي ركعتي الضحىٰ. وليس هذا بمستغربٍ أو مستعجبٍ؛ فالجدُّ عثمان! مات وهو يقرأ القرآن، فوقعت أوَّل دفقة من دمه علىٰ وعد ووعيد ربِّه العظيم: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

مـا أحسنَ الجودَ في الدنيا وفي الدينِ
وأقبحَ البخلَ فيمن صيغَ من طينِ
مـا أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا
لا بارك اللهُ في الدنيـــا بلا دينِ

***

يموتُ ملوكُ الدنيا.. فتهتزُّ عروشُهُم..
ويموت سعدُ بن معاذ.. فيهتزُّ لموته عرشُ الرحمن!

وليسَ سباعُ البر مثلَ ضباعِه
ولا كلَّ من خاضَ العجاجَةَ عنترُ[1]

***

أصبح عبدُ الله بن حرام، وقد تكفَّن وطيَّب، وقال مقالة الصحاح لا المرضىٰ: «اللهُمَّ خذ من دمي هذا اليوم حتَّىٰ ترضىٰ!

---

(١) عنتر بن شداد.

فما أمسىٰ حتَّي أفضىٰ إلىٰ ما أمضي، فكلَّمه الله كفاحًا بلا ترجمان، قال: تَمنَّ يا عبد!

قال: أتمنىٰ أن تعيدني إلىٰ الدنيا الفانية، فأقتل فيك ثانية!

واللهِ لو أنَّكَ يا مولايَ تَوَّجتَني بتاجِ كسرىٰ مَلِكِ المشرِقِ
ولو بأموالِ الورىٰ جُدتَ لي أموال من بَادَ ومن قَدْ بقي
وقُلتَ لي لا نلتَقِي ساعَةً اختَرتُ يا مولايَ أن نلتَقِي

* * *

يا ذكيًّا كن زكيًّا!
يا قويًّا كن تقيًّا!
يا ناصحًا كن صالحًا!
يا مسلمًا لله استسلم!
وقل: آمنت بالله ثُمَّ استقم!

* * *

أبو المساكين!

جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

كان ينقلب بالمساكين إلىٰ بيته، فيعطيهم ويطعمهم ويسقيهم، حتَّىٰ إنَّه ليُخرجُ العكَّة إليهم ليس فيها شيءٌ، فيشقُّها لهم، فيلعقون ما فيها.

بذلٌ يعجز عنه كلُّ نذلٍ . .

وعطاءٌ يُحرم من كلِّ خطَّاء . .

ويدٌ حانيةٌ، تسكبُ الخيرَ في كلِّ آنية . .

تعـوَّد بسطَ الكفِّ حـتىٰ لو أنَّه ... ثناها لقـبضٍ لم تُجبـهُ أناملُهُ

تراهُ إذا ما جئته للعُرفِ متهللاً ... كأنَّك مـعطيه الذي أنتَ سـائلُهُ

كريمٌ إذا ما جئتَ للعرفِ طالبًا ... حـبـاكَ بما تحنُو عليـه أناملُهُ

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهُ

ولو لم يكُن في كفِّهِ غيرَ نفسِهِ ... لجـادَ بهـا فليـتَّقِ الله سـائلُه

طارت يده في مـؤته . . فـأبدله الله بهـما جناحين عظيـمين يطيران به في الجنة، فضلاً من الله ومنَّة . .

أما آن لقلوبنا أن تطير إلىٰ السماء؟!

ما لها رضيت بموارد التلف بين الجيف؟!

النفس تبكي علىٰ الدنيـا وقـد علمت

أن السـلامـة فـيـهـا ترك مـا فـيـهـا

لا دارَ للمـرءِ بعـد الموتِ يسكنهـا

إلا التي كـان قـبل الموتِ يبنيـهـا

* * *

أمُّ المساكين!

زينب بنت جحشٍ - رضي الله عنها -.

راعية اليتامىٰ والأرامل..

يقول رسول الله - صلَّىٰ الله عليه وسلَّم - لنسائه: «**أسرعكن لحاقًا بي أطولُكنَّ يدًا**».

فأخذن قصبة يذرعنها، ويتطاولن أيَّتهنَّ أطولُ يدًا.

ولسان حالهنَّ يقول في لوعةٍ واحتراقٍ: ولماذا نبقىٰ نتجرَّعُ بعدَك غصصَ البعد والفراق؟!

وكيف للعيش أن يطيب بعد فراق الحبيب؟!

فـراقُكَ في غـدٍ وغـدٌ قـريبُ ... فـوا كـبـدا من البينِ القـريبِ

فـيـا صَـدرَ النَّهـارِ إليكَ عنِّي ... ويا شـمسَ الأصـائِل لا تغـيـبي

والمقصود منهنَّ؛ زينب!

أم المسـاكين.. كـانت - رضي الله عنهـا - تعـمل بيـدها وتصدِّق، وتنفق من مالها وتعتِق.

فأين عنها من طالت يدها في الحرام؟!

وأين عنها من طال لسانها بالآثام؟!

وأين عنها من طال بصرها في مواقع الفتنة والإجرام؟!

فـمـا كـلُّ عينٍ بالحـبـيبِ قـريرةٌ ... ولا كلُّ من نُودي يُـجيبُ المناديا

انصِب قِدرَك، ليعلو قَدرُك، فقد كُتِبَ في الأزلِ قَدَرُك.

* * *

يا صـاحب الجـاهِ والمنصبِ، جِـدّ في مـصـالح الناسِ وانصَب، فـمن المعـروف أنَّ صنائع المعـروف تقي مـصـارع السوء، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

للخـــيـــرِ أهلٌ لا تزالُ وجـــوههم تدعـــو إليـــه
طوبىٰ لمن جـــرت الأمـــورُ الصـــالحـــاتُ علىٰ يديه
مـــا لم يضق خلق الفـــتىٰ فـالأرضُ واسـعـةٌ عليـه[1]

* * *

مصعب بن عمير!

سفيرٌ سافر ليسفر النور علىٰ يديه.

فطابت به طيبة..

وأزال الله به العيبة..

وورمت به أنوفُ من طالت بهم الخيبة!

ولا صعب علىٰ مـصعب، فقد تدرَّب في مـدرسة المعلم الأول وتهذَّب.

يبني الرِّجالَ وغيرُهُ يبني القُرىٰ شـتَّـان بين قُـرىً وبين رجـالِ

(١) عبد العزيز الأبرش.

سهرَ الغافلون على أنغام هل رأى الحب سكارى مثلنا!

فـانقـضَّت عليـهم طائرات أعـدائهم كـالصـقـور على الحبارى..

فاستيقظوا حيارى.. ثملين سكارى..

ولو جـازَ حُكمي في الغـابرينَ وعَـدَّلتُ أقـسـامَ هذا الورى
لسـمَّيتُ بعضَ النِّساءِ الرِّجالَ وسمَّيتُ بعضَ الرِّجالِ النساء[1]

* * *

أبو الدحداح!

سـمع في الصَّبـاح: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فـمـا أمـسى حـتى ولَّى وراح إلى رسـول الهـدى والصلاح ﷺ، وصاح: يا رسول الله! إنَّ لي حائطاً بالمدينة به ستمائة نخلة، فخذه يا رسول الله، ضعه حيث أراك الله، فإنِّي قد أقرضته الله!

فبُشِّر بجنَّة الله، واستراح، وكان المفتاح: «**كم من عذقٍ ردَّاح لأبي الدحداح في الجنة!**».

---

(١) ابن هاني الأندلسي.

فأي فلاحٍ بعد هذا الفلاح؟!

العيشُ عيشهُمُ والملكُ ملكُهُمُ ما النَّاسُ إلا هُمُ بأنُوا أو اقتربوا

* * *

لله درُّك!

كم درَّتْ عينُكَ من درٍ!

وكأنما بين جنبيك مسٌّ سقر..

والغافلون ليس لديهم حسٌّ بما لديك ولا خبر.

وعند الفجر يحمد القوم السُّرىٰ.

ويطول اللوم علىٰ مَنْ طال به النوم.

ويفرح بالظفر من أطال له السهر، وأعدَّ زاداً للسفر!

* * *

الأمة التي لا تعي دورها.. لا يمكن أنْ يكونَ لها دورٌ..

والأمة التي لا تعرف طعم الريادة لن تستلم زمام القيادة.

والأمة التي ترضىٰ بالدون.. تهون.

فهي قضية أنْ نكون أو لا نكون.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ متىٰ يا مسلمون؟!

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فهل فهمتم الدور يا من عليهم دائرة المكر تدور؟!
فقُومُوا، وقوِّمُوا، وقاومُوا، وأقيموا دولة الإسلام في قلوبكم قبل أنْ تقام على أرضكم..
فالعقبى لكم لو كنتم تعقلون!

***

وفي الختام.. وقد طال الكلام!
نهتف - بقلوبٍ مسلمةٍ ونفوسٍ مستسلمة - للملك العلاَّم..
اللَّهُمَّ، إنَّا نفزع إليكَ طلبًا، ونرجوكَ رغبًا، ونخشاك رهبًا..
اللَّهُمَّ، اجعل التقوى زادنا.. يا من إذا سألناه أعطانا وزادنا.
اللَّهُمَّ، اجعل الخوف رداءنا.. يا من بيده داؤنا ودواؤنا..
يا واهبَ العطيَّة! يا كاتبَ المنيَّة! يا دافعَ البليَّة! يا مانعَ الرزيَّة! يا غالبَ الجموع القويَّة! نسألك عيشةً رَضيَّة، وحياةً هنيَّة، ونفوسًا تقيَّة، وميتةً سويَّة..
ونسألك صحيفةً من الشركِ بريَّة، ومن الشكِّ نقيَّة.. يا ربَّ البريَّة..

اللَّهُمَّ، فأصلح الراعي والرعية، وألف بين قلوبنا على ما تحبُّ وترضى، وأذهب من قلوبنا الحقد والحسد والبغضاء، واسلك بنا سبل الهداية حتى ترضى . .

يا مالكًا يوم القصاصِ . . يا آخذًا بالأقدام والنواصي .

يا غنيًّا لا يبخل . . يا حليمًا لا يعجل .

أمِّن المفـــجـــوع، وصِّلِ المقطوع، ومنَّ علينا بالتـــوبة والرجوع، والإنابة والخضوع .

اللَّهُمَّ، امنحنا ولا تمتـــحنَّا . وسلِّمنا ولا تُسلمنا . . وضاعِفنا ولا تُضعفنا . . وزدنا ولا تُزري بنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وكن لنا ولا تكن علينا . .

اللَّهُمَّ، فصلِّ على نبينا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيراً .

وكتبه

عبد اللطيف بن هاجس الغامدي

غفر الله له وتجاوز عنه